

تأثير حوض وادي الرشاء على الاستيطان
(أوضح أنموذجاً)

*The Effect of Wadi Al-Rasha Basin on Settlements
(Audhah as a Model)*

د. عبدالعزيز بن جارالله الجارالله*، جامعة شقراء (السعودية)

aaljarallah@su.edu.sa

تاريخ الاستلام: 2020/07/20 تاريخ القبول: 2020/08/18 تاريخ النشر: 2020/09/30

الملخص:

تعيش مستوطنات وسط الجزيرة العربية حيث لا بحار ولا أنهار أو بحيرات على مصادر المياه من الأمطار والأودية الكبيرة والعيون والآبار، وعبر الطبقات الحاملة للمياه أو مياه الشقوق في القطاعين الرسوبي والدرع العربي، فالمرتكزات البيئية تمتد المستوطنات بمقومات النمو منها الأودية والجبال والسهوب والمناطق الرعوية، لذا فإن المستوطنات استمرارية وبقائها يعتمد على مخزونها المائي ومصادرها أمطارها الموسمية وبخاصة وقوعها على شفير أو قرب أحد الأودية الكبيرة كما هو الحال مع مستوطنات أوضح التي استفادت كثيراً من حوض وادي الرشاء.

يركز البحث على دور حوض وادي الرشاء في وفرة المياه، ومدى استفادة البيئات من حوله في تعدد مصادر ومجري المياه والغطاء النباتي، كما ركز البحث على حوض وادي الرشاء ومدى تأثيره على مستوطنة أوضح ومحيطها كونها أراضي ومساحات شكلت المنطقة الخلفية للمستوطنات.

أظهر البحث أن حوض وادي الرشاء غني في خصائصه البيئية والبنية الطبيعية، وأن له الدور الكبير في قيام المستوطنات ومنها أوضح.

الكلمات المفتاحية: حوض وادي الرشاء، الاستيطان، وادي الرشاء، شبه الجزيرة العربية، أوضح.

Abstract:

The research focuses also on the role of the Wadi Al-Rasha basin as there is abundant water, and the extent to which the environments around it benefit with regard to the multiplication of sources and streams of water and vegetation.

The research also focused on the Wadi Al-Rasha basin and its impact on the Audhah settlement and its surroundings as lands and areas that formed the back area of the settlements. The research showed that Wadi Al-Rasha basin is rich in its environmental characteristics and natural structure, and that it plays a major role in the establishment of settlements such as Audhah.

Key Words: Wadi Al-Rasha, Audhah, Occupation, Wadi Al-Rasha basin, water and vegetation.

أولاً: موضوع البحث:

يشكل الاستيطان في الأقاليم الجافة والمنطقة الصحراوية التي تخترقها أودية جافة تعيش على الأمطار الموسمية، تشكل المحور الرئيسي في قيام تجمع بشري يقع في منتصف الطريق بين دروب الحج محلياً وإقليمياً مثل شرقي الجزيرة العربية العراق حاضرة الدولة والخلافة العباسية، والأماكن المقدسة في مكة المكرمة والمدينة المنورة، أيضاً يقع داخل شبكة طرق تربط شرقي وشمال الجزيرة العربية بوسطها وغربها.

يهدف البحث إلى التعرف على المقومات والخصائص الجغرافية الطبيعية والاستيطانية، في بيئات حوض وادي الرشاء ومن ضمنها مستوطنة أوضاخ، ويمثل حوض ومجرى وادي الرشاء الشريان الرئيس لشمال منطقة الرياض، تغذي مياهه ناحية أوضاخ والمناطق الرعوية من حولها والأطراف الشرقية من حى ضرية الإسلامي.

1-1: مشكلة البحث:

المناطق شبه المعزولة والبعيدة عن حواضر مدن الخلافة الإسلامية تفتقد إلى الاهتمام وبخاصة وسط الصحراء، وبالتالي لم تحظ بدراسات موجهة ومن منظور استيطاني التي يمكن أن تسهم في كشف المنطقة والتعرف على دورها الحضاري التي عاشته حتى وإن كانت هذه من المستوطنات الصغيرة مثل محطات ومتعشي طرق القوافل، لكن صحارى المملكة

الواسعة أبقّت على بعض الآثار والموجودات مدفونة تحت الرمال وبين صخور الجبال وفي مناطق معزولة إلى وقتنا الحاضر، ومن جانب آخر فإن التوطين وتوظيف القدرات الطبيعية الهائلة للصحراء، قد يمثل إطاراً مناسباً ومدخلاً للكشف عن التجمعات والمجتمعات الصحراوية وبخاصة في المواقع التي لها تاريخ استيطاني.

تنعم المملكة بمساحة كبيرة وواسعة في الجزيرة العربية حيث تمثل المناطق الصحراوية تنوعاً غنياً بالمظاهر الطبيعية، والكثير من الأماكن والمواقع لا زالت بكرًا ولم يتم دراستها استيطانياً، رغم أن بعضها امتد إليها العمران الحضري، وبالتالي تحتاج إلى التعرف عليها والكشف عن سماتها وخصائصها، ودراسة امكانية تصنيفها وربطها بما حولها من مستوطنات وحواضر، ومحطات طرق القوافل المحلية الداخلية والقادمة من خارج حدود الجزيرة العربية كما هي طرق العراق، والشام، ومصر، وشرقي العالم الإسلامي قبل أن تندثر تماماً بسبب خطط التنمية الشاملة في المملكة العربية السعودية.

2-1: أسئلة البحث:

ما الخصائص والمميزات الجغرافية، والمقومات الطبيعية والبيئية والآثرية التي يتميز بها حوض وادي الرشاء ومستوطنة أوضاخ؟

- ما السمات الاستيطانية في حوض وادي الرشاء والمستوطنات؟
- ما هو تأثير حوض وادي الرشاء على مستوطنة أوضاخ الأثرية والبيئات من حوله.

3-1: منهج البحث:

اعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي، وذلك من خلال وصف الخصائص البيئية الصحراوية في حوض وادي الرشاء للتعرف عليها وإمكاناتها، وأهميتها في البيئة الاستيطانية والحضرية، واستخدام الخرائط والصور المناسبة لتحقيق أهداف البحث، واعتمد البحث على المصادر الآتية:

الدراسات والكتب والمطبوعات والخرائط المنشورة: كتب هيئة المساحة الجيولوجية، ودارة الملك عبدالعزيز، وأطلس المملكة، وإصدارات المؤلفين المتخصصين.

- خرائط منطقة الرياض بمقاييس رسم مختلفة (1/50.000 و 1/500.000 و 1/250.000) والمعدة من قبل إدارة المساحة الجوية، وزارة البترول والثروة المعدنية. الدراسات الميدانية وتمثلت في: رحلات ميدانية إلى حوض وادي الرشاء، شملت دراسة خصائص المنطقة الطبيعية والأثرية، والقيام بتصوير فوتوغرافي لبعض المظاهر الطبيعية والآثار.

4-1: منطقة البحث:

تغطي الحدود المكانية للبحث حوض وادي الرشاء وتأثيره على مستوطنة أوضاع التابعة لمنطقة الرياض - يطلق عليها حالياً أوضاع-، وهناك عوامل كثيرة ساعدت في اكتساب حوض وادي الرشاء أهمية خاصة منذ آلاف السنين، ومن ثم امتدت إلى الوقت الحاضر، وفي حوضه أحد أهم المواقع الأثرية مستوطنة أوضاع، وقد منحها موقعها المميز أهمية حضارية، حيث تعد من أهم أماكن تصنيع الأواني الحجرية، واستفاد وادي الرشاء من خصائص موقعه الجغرافي وسط شمال منطقة الرياض كمنطقة واسعة تستوعب شعاب ومجري وادي الرشاء في تغذية الآبار ومصائد المياه.

5-1: تشخيص المشكلة موضع البحث وعناصرها:

مدى تأثير حوض وادي الرشاء على المنطقة.

- أسباب التأثير وانعكاسه.
- ميزة حوض وادي الرشاء وتوظيفه لخدمة الاستيطان.
- العوامل الأخرى التي ساعدت في الاستيطان.
- إبراز الجوانب النظرية التحليلية والعملية للمشكلة.
- معالجات الاستيطان.

6-1: أهمية البحث:

- دور حوض وادي الرشاء في الاستقرار الاستيطاني بالمنطقة واستمراره.
 - علاج المشكلة موضع لبحث من المنظور النظري والتحليلي.
 - علاج المشكلة موضع البحث بالنسبة للتطبيق العملي للمستوطنات والمجتمع والسكان.
- ونظراً لأهمية حوض وادي الرشاء قام الباحث باختياره ولا سيما وأنه تتوفر لديه مقومات البحث مثل:
- إمكانية جمع المعلومات والبيانات.
 - لقد اطلع على معظم الدراسات السابقة ذات العلاقة بالبحث.
 - توافر المراجع الرئيسية حتى هذه المرحلة من البحث.
 - اهتمامات الباحث.

7-1: تحديد نطاق البحث:

- نطاق البحث حوض وادي الرشاء بمنطقتي الرياض والقصيم.
- القطاعات الأخرى سيأتي الباحث عليها بالذكر وحسب حاجة البحث.
- بيان النقاط التي سوف لا يتعرض لها الباحث وسوف تكون نطاق بحوث أخرى مستقبلية.
- سوف يبقي الباحث بعض جوانب حوض وادي الرشاء لدراسات مستقبلية.

8-1: منهجية (أسلوب) البحث :

- هي دراسة نظرية تحليلية فلسفية
- دراسة تحليلية لبعض جوانب حوض وادي الرشاء
- قراءة الواقع وتحليله

9-1: الدراسات السابقة:

- لم تتم دراسة لحوض وادي الرشاء دراسة استيطانية شاملة، إنما أبحاث لمواقع في الحوض مثل أوضح فقد تمت الدراسات الحديثة من قبل متخصصين في الآثار الإسلامية ومنها:

قدم سعيد بن ديبس العتيبي رسالة ماجستير تاريخية وأثرية بعنوان طريق الحج البصري من ضرية إلى أوطاس، نشرت عام 2005، تناول محطات الطريق من ضرية إلى مكة المكرمة، كما قدم سعيد العتيبي رسالة دكتوراه بعنوان ضرية دراسة تاريخية وأثرية، عام 2008، تناول حى ضرية في العهد الإسلامي حيث تقع أوضاع ضمن الحى في الحد الشرقي لحى ضرية الإسلامي.

تناول عجب العتيبي، (المناجم ومواقع التعدين) في محافظة الدوادمي خلال العصر الإسلامي المبكر، رسالة دكتوراه، غير منشورة، عام 1440هـ - 2018م، تناولت مواقع التعدين من خلال الأطر الجغرافية، وجيولوجية لمنطقة الدوادمي وتطرق إلى أوضاع وأماكن التعدين القريبة منها، شملت الدراسة الميدانية مناجم ومواقع التعدين في محافظة الدوادمي الذي يقع فيه حوض وادي الرشاء.

قدمت مشاعل بنت نادر العتيبي، 1439 - 1440هـ رسالة ماجستير على موقع أوضاع دراسة أثرية ميدانية، المسح والتنقيب الأثري للموقع عبر المجلسين تم تحديدهما مسبقاً للتعرف إلى المراحل السكنية، ومقارنة المعثورات بما يماثلها في المواقع الإسلامية الأخرى، حيث تعد أوضاع مركزاً لإنتاج الأواني الحجرية اشتهرت بصناعة البُرْم في العهد الجاهلي والإسلامي المبكر، لقد مرت أوضاع بحالة ازدهار، يعود تأريخ موقع أوضاع إلى فترة العصر الإسلامي المبكر، خلال القرون الثلاثة الأولى من تاريخ الإسلام، إلى أن تدهورت واندثرت مع تعطل طرق الحج أوائل القرن الرابع الهجري.

ثانياً: تاريخ الاستيطان في حوض الرشاء:

1-2: حوض وادي الرشاء:

وادي الرشاء معروف بهذا الاسم منذ القدم، يقول أبو علي الهجري: (لبنى جأوه ماء يدعى العريض، ولهم ماء ان خارجاً من ثهلان بوادٍ يقال له الرشاء)، وقال الهمداني: (بطن الرشاء وهو بين خنوقة وثهلان).¹

¹ - العبودي، بلاد القصيم، ج: 362 - 365.

حوض وادي الرشاء: يقع شمال منطقة الرياض، وهو مجرى مائي يبدأ مع روافده العليا من الأطراف الشرقية من إقليم الدرع العربي؛ جنوب غرب جبل ثهلان، جنوب غرب مدينة الدوادمي، بمنطقة الرياض (خريطة رقم (1))، وينحدر بشكل عام نحو الشمال والشمال الشرقي، حتى ينتهي في قاع الخرماء بمنطقة القصيم؛ في الأطراف الغربية من إقليم الرف العربي (الغطاء الرسوبي) (خريطة رقم (2))، يقع معظم مجراه في محافظة الدوادمي؛ التابعة لمنطقة الرياض، في حين تقع نهاياته في محافظة المذنب؛ التابعة لمنطقة القصيم، يبلغ طول وادي الرشاء نحو 210 كم، ويبلغ معدل انحداره 1,2 متر للكيلومتر الواحد، وأهم روافده: وادي الشعراء، ووادي جهام، وشعيب نفي، وشعيب الهبيشة، كان يطلق على وادي الرشاء مسمى وادي التسرير؛ بعد التقائه مع رافده وادي التسرير؛ الذي ينحدر من منطقة التسرير؛ المنحصرة بين منطقة الثندوة الرملية من الشرق، ومجرى وادي الرشاء من الغرب، شمال شرق جبل جبلة.

تنحدر أعالي وادي الرشاء من جبال: الشقراء، والنبطاء، وقنيفذة؛ الواقعة جنوب جبل ثهلان؛ جنوب مركز الشعراء؛ في محافظة الدوادمي؛ ثم يتجه شمالاً حيث يلاقي من جهة الغرب رافده شعيب ظلماء؛ المنحدر من جبل حسيكان.

ثم يلاقي رافده شعيب أبو حسك، بعد ذلك يلتقي مع رافده شعيب دلعة؛ القادم من الشرق؛ والذي يفصل مجراه بين جبال قنيفذة وجبل ثهلان، يحاذي مجراه بعد ذلك جبل ثهلان من الغرب، حيث ترفده مجموعة من المجاري المائية المنحدرة من الجبل حسيكان. بعد ذلك يلاقي فرعه الثاني الغربي المنحدر من جبال الأسود؛ والذي يحمل اسم الوادي نفسه؛ غرب جبل شطب.

يلاقي رافده القادم من الشرق وادي الشعراء، ورافده القادم من الغرب شعيب أبو عجلة، وذلك شمال غرب جبل شطب، بعد ذلك يقطع مجراه مسار الطريق المعبد الذي يربط الدوادمي مع عفيف، حيث يلاقيه من الغرب رافديه: شعيب الرمادية ووادي خنوقة، كما يلاقيه من الشرق رافده شعيب أبو هضيد، غرب ضليعات النهدين، شرق حشة أبو حنيف.

يرفد وادي الرشاء من جهة الشرق مجرى شعيب أبو سواد، ثم يرفده من الغرب رافده الرئيس وادي جهام (المعروف قديماً باسم وادي البدي)؛ شرق بلدة مطربة، ثم يرفده من الشرق شعيب صهريج وشعيب عشيران عند بلدة النبوان؛ الواقعة على مجرى وادي الرشاء، ثم يخترق مجراه بلدات: الرفاع، والفقارة، والودي، حيث يلاقيه من الغرب شعيباً: الودي، والشعيفية، يخترق بعد ذلك مجراه بلدة الرشاوية؛ التي سُمّيت باسمه.

يرفد وادي الرشاء بعد بلدة الرشاوية من الغرب مجرى شعيب أبو ثمام، ثم شعيب أبو عشر، ثم شعيب القرين؛ شرق جبل جبلة، يرفده بعد ذلك من الشرق مجرى شعيب أبو هضيد، ثم يلتقي بعد ذلك مع رافده القادم من الغرب شعيب أبو سليم، ومع رافده القادم من الشرق شعيب عرجا وذلك قرب نقطة اجتياز مسار الطريق المعبد الواصل بين نفي والدوادمي مجراه؛ شمال شرق جبل جبلة.

بعد ذلك يرفد وادي الرشاء من الشرق شعيب جمران، ثم يرفده من الغرب شعيباً: المغيمي والمغمي، ثم شعيب أبو خريط، بعد ذلك يرفده من الشرق مجرى شعيب الحميمات، ثم يخترق مجراه المنطقة الواقعة ما بين جبل الوشاعل من الغرب، وجبل النوبيات من الشرق، حيث يرفده شمالها شعيب نفي، ثم أحد روافده الرئيسة القادمة من الغرب شعيب الهيدشة.

يلتقي مع يرفد وادي الرشاء وادي التسيرير؛ القادم من الشرق، شمال جبل وعبلان النوبيات، غرب بلدة الديرية؛ والذي كان في السابق يحمل الوادي اسمه؛ ولكن طغى اسم وادي الرشاء عليه مؤخراً.

ثم يخترق مجرى وادي الرشاء منطقة السنارية الزراعية؛ حيث يلاقيه بعدها رافده القادم من الغرب شعيب أوضاع؛ الذي تقع عليه منطقة أوضاع الأثرية؛ ويستمر مجراه باتجاه الشمال محاذياً بلدات: الخالدية وخريمان الشغار من الغرب.

بعد ذلك يقطع مجراه مسار الطريق الواصل بين مركزي العمار ودخنة، حيث يدخل مجراه أراضي محافظة المذنب؛ التابعة لمنطقة القصيم، حيث يلاقيه من الغرب روافده شعاب: الملقاء، وربيق، وعلباء، يفيض بعد ذلك في قاع الخرماء؛ نتيجة اعتراض كثنان نفود الشقيفة لمجراه، حيث تقع بلدة الخرماء ومزارعها.

تنتشر المستوطنات على ضفاف وادي الرشاء وروافده مشكلة حوض من شبكة الأودية والمستوطنات، جعلت من المنطقة بيئة توطين اختلفت في مهامها ما بين قرى زراعية، ومحطات طرق متعشيات لقوافل الحج والتجارة، وقرى رعوية على أطراف حى ضرية، وقرى لقبائل مستقرة تعمل في تجارة الأنعام، واستمرت انماطها في العصور الإسلامية لأغراض الحج والتجارة حتى تحولت في التاريخ الحديث إلى هجرة وقرى للتوطين والاستقرار في القرن (18) الميلادي، واستمر الاستيطان حتى الزمن المعاصر وتحولت إلى هجر وقرى ومراكز ومحافظات ومن هذه المستوطنات والقرى والمدن التي شكلت حوض وادي الرشاء الذي يبلغ طوله أكثر من 210 كيلومتر: الدوامي، البجادية المذنب، دخنة، نفي، جبلة، العمار، الشعراء، الخرماء، مطربة، الرفاع، الفقارة، الودي الرشاوية، السنارية، أوضاخ، الخالدية، خريمان الشغار، العمار، التسيرير، وهيماء، الرديفة، كويكبة، عرجاء، وثيلان، ربيق، الملقاء، سامودة، القرين، المستجدة، العدو، العويجاء، الأثلة، مساوي، مشرفة، العبل، القرين، الرفائع، النبون، عسيلة، الشبرمية، (الحزم خريطة رقم (3)).

2-2: أوضاخ: قرية قديمة العمران، قال نصر الإسكندري: أوضاخ سوق بها بناء وجماعة ناس وهي معدن البرم، معدن البرم: جمع برمة بمعنى القدر.. ما ذكره أبو عبيدة من أن بني فقيم مروا (بأضاخ) فاشترؤا براما، ذكر الحربي كتاب "المناسك" عن قره بن جابر من أهل (أضاخ) قال: كنا ننضح على حرث بناحية (أضاخ)، كانت (أضاخ) مركزاً للحكم بين المتخاصمين وكان فيها مشايخ يتولون الحكومة في المنازعات. قال البكري: قال ابن قتيبة: وجد بدمشق حجر مكتوب فيه: هذا من ضلع (أضاخ)، فقرن ذكره بذكر (منعج) دخنه الواقعة جنوب منطقة القصيم جهة الشمال من أضاخ، قال ياقوت: وأضاخ: سوق، وبها بناء، وجماعة ناس وهي معدن البرم إلى أن قال: وقد نسب الحافظ أبو القاسم إليها محمد بن زكريا أبا غانم النجدي ويقال اليمامي الأضاخي من قرية من قرى اليمامة. قاع الخرما وخريمان جنوب القصيم في القديم (قاع القمر) قال البكري: فيفضي على وادي الرشا الذي كان يسمى قديما - بالتسير - إلى قاع القمر، وكذلك (منعج) دخنة في الحاضر، في ناحية دار غني، بين (أضاخ) وإمرة - محطة على طريق البصرة - (والرجام) الجبل القريب جداً من جبل طخفة المشهور، يسمى (الشعب) قد وصف بأنه جبل مستطيل في الأرض بناحية طخفة ليس بينه وبينها إلا

طريق يدعى العرج وهو طريق أهل أضاخ إلى ضرية، وذكر الأصمعي الرسيس ثم الإراطة وقال: بينها وبين أضاخ ليلة، هذه النصوص الكثيرة تدل على عمارة قديمة في (أضاخ)، ولكن النصين عن ابن فضل الله وعن ابن بسام يدلان على أن أضاخ كان قد دثر وبار قبل القرن الثامن الهجري. (العبودي، بلاد القصيم، ج1: 306، 353-357، 362-365)¹.

أوضاخ المنزلة بها آثاراً قديمة كثيرة من الزجاج الأسود والأبيض والأزرق والأخضر. من مخلفات القرون الإسلامية كالقرنين الثالث والرابع، أما معادن البرم ومصانعه فإن بقاياها ظاهرة، أن مشاهدة آثار أضاخ شهد مدينة أوسع وأرقى مما في النصوص القديمة، ولأضاخ حزيز مشهور أورد ذكره الإمام لغدة الأصبهاني في كلامه على بلاد غني بن أعصر ونمير فقال: ويخالطهم هناك غني إلى حزيز أضاخ وهو لغني ونمير. حزيز أضاخ يبدأ من أضاخ ويذهب إلى الجنوب الشرقي حتى يصل مجرى وادي الرشا، يسمى العبلة، وهناك حادثة زمن الجاهلية وقال أبو عبيدة: أضاخ من الشربة، في ديار بني محارب بن خصفة بن قيس عيلان قال: وعند أوضاخ وجدت نعلا شرحبيل بن الأسود الكندي بعد قتله وجدت في الشربة عند قوم محارب، فأحمى لهم الأسود الصفا التي بصحراء أضاخ، وقال: إني أحذيكم نعالا، فأمشاهم عليها، فتساقطت أقدامهم.. قال الشاعر (رجل من كندة):

على عهد كسرى نعلتكم ملوكنا صفا من أضاخ حاميا يتلهب

والشربة بين الرمة والجري وبنو محارب منازلهم في المنطقة الشرقية في النفازي والهميج وعاج، فالشربة بعيدة وربما العقاب تم في أضاخ، وقد ذكر أضاخ ياقوت الحموي: من قرى اليمامة لبني نمير، نشأت أوضاخ كقرية تعدينية، وربما كان ذلك قبل الإسلام واستمر بعده، اشتهرت بأحداث تاريخية قديمة، ومنها أحداث داحس والغبراء وجبله، وقعت بين الشريف والشرف، وغيرها من الأحداث التي كان أغلبها قبل الإسلام، أشهر المواقع جبل جبله، وجبل طخفة، وجبل ماسل وجبل واردات، وموضع واردات شهد يوم عنيزة لقبيلة تغلب، ويوم الحنو، ويوم عويرضان، ويوم ضرية، اشتهرت أوضاخ بصناعة البرم في العهد الجاهلي، بسبب وجود منجم الحجر الصابوني الذي يستخدم لصناعة البرم، اكتسبت أوضاخ شهرة في

¹ - العبودي، بلاد القصيم، ج1: 306، 353-357، 362-365.

العصر الإسلامي حيث كانت في ذلك الوقت لبني نمير وغنى، وعرفت أكثر في أوائل القرن الهجري، حيث تقع بالقرب من طريق الحجاج القادمين من العراق إلى مكة، وهناك بعض الدلائل التي تشير إلى ازدهار التجارة في بلدة أوضاع في العصر العباسي، وذلك من خلال ما تم العثور عليه في أثناء التنقيب في البلدة القديمة لأوضاع، حيث تم العثور على بقايا فخار مطابقة لأواني العصر العباسي المبكر، وهي نفسها النتائج التي توصل لها فريق يوريس زارنيس وآخرون (1399هـ) التقرير المبدئي عن مسح المنطقتين الوسطى والجنوبية الغربية¹ كشفت أعمال التنقيب التي أجريت في موقع أوضاع، من خلال المجسات التي تم حفرها عن ظواهر أثرية مترابطة فيما بينها، وجود أمثلة لتلك الطريقة التي ظهرت في مواقع معاصرة لموقع أوضاع في المملكة العربية السعودية، وعُثر على تشكيلات معمارية مشابهة، لها في محطات طريق الحج الكوفي، وتؤرخ تلك المواقع التي تتشابه في أسلوب عمارتها مع موقع أوضاع بالفترة العباسية، يعود تاريخها إلى القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، وتؤرخ بفترة النصف الثاني من القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، تُعد أوضاع من أشهر المناجم في الجزيرة العربية خلال العصور الإسلامية، في صناعات الحجر الصابوني، عند مقارنة ما وجد في أوضاع من معثورات الحجر الصابوني مع بعض المواقع الإسلامية المبكرة تتشابه معها، والمؤرخة بفترة القرنين الثاني والثالث الهجريين/ الثامن والتاسع الميلاديين (العتيبي، أوضاع، 2018م: 27 - 28).

ويعد موقع (أوضاع) مستوطنة إسلامية كبيرة، بها عدد من أساسات المباني والمنشآت المعمارية عثر بداخلها على أوان من الحجر الصابوني وأواني فخارية (زارنيس، أطلال 1400). ومن أشهر المستوطنات الإسلامية موقع (حليت)، الذي يعدّ منجماً قديماً لاستخراج الذهب، ويسمي معدن النجادي، وفي (عروى) سجلت بعض أعمال المسح الأثري نقوشا إسلامية كتبت بالخط الكوفي، يقع على مجرى الوادي وفي محيطه بعض المستوطنات

¹ - أطلال، العدد 4/1400هـ/1980م: 29. العبودي، 1399، ج1: 357-365. العتيبي، أوضاع: 12-14.

والمناجم القديمة، مثل السديرية وأوضاع ومعدن حليت. (العتيبي، عجب، 1440هـ: 41، 42).

2-3: حمى ضرية:

يقع حمى ضرية - حمى أبل الصدقة - التي اختارها الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب رضي الله عنه لتكون حمى لإبل الدولة الإسلامية؛ في جنوب غربي القصيم في محافظة ضرية خريطة رقم (4)، وتمتد حدوده إلى محافظات: الرس، والمذنب، في القصيم، وأجزاء منه في منطقة الرياض الدوادمي وعفيف، ومحافظة ضرية تابعة إدارياً لمنطقة القصيم، والمراكز التابعة للمحافظة: الصمغورية، ومسكة، وسلام الظاهرية، المطيوي الجنوبي، بدائع الضبطان، بقعاء الجنوبية، العاقر، فيضة الريشية هرمولة، ليم، القاعية، صعينين، وهذه المراكز تمثل أجزاء من الحمى وتشكل بيئات المستوطنات ومحطات القوافل.

حمى ضرية الموضع الذي فيه الكلاً والعشب يحيي من الناس أن يرعوه: وهو أكثر الاحماء ذكراً وشيوعاً، وأوسعها دائرة، كان الحمى مقصوراً على إبل الصدقة، يطلق عليه حمى الشرف، تكثر أعشاب الحمض في شرقي الحمى، قال الإمام الحربي في كلامه على ضرية والحمى: وهو بلد مغبوط بالمطر الدهر كله، كثير العشب، كما قال أبو علي الهجري: ولم يزل الناس يتقاتلون على الحمى أشد قتال، قال البكري: والشرف كبد نجد: وكانت منازل الملوك من بني أكل المزار،¹ وفيها اليوم حمى ضرية، وقال البكري: إلى ضرية ينسب الحمى، وهو أكبر الأحماء، وقال ياقوت: فأما حمى ضرية فهو أشهرها، وهو كان حمى كليب فيما زعم بعض أهل بادية طيء، قال: وفي ناحية منه قبر كليب معروف أيضاً إلى اليوم، وهو سهل الموطئ، كثير الخلة، وبه كانت ترعى إبل الملوك. الشرف الأرض الواقعة بين وادي الرشا، والمعروف قديماً بوادي (التسرير) وبين وادي الجرير (الجريب) وهو حمى ضرية، الشرف هو ما كان شمال وادي الرشا وأن ما كان إلى الجنوب منه هو الشريف، حمى ضرية في غربيه وادي الجرير (الجريب قديماً). ثم أبيع الحمى في أيام الخليفة المهدي فلم يحمه أحد بعد ذلك، وكان شأن الحمى عند ولاة المدينة عظيماً، كانوا يستعملون عليه، سادة القوم وأشرفهم،

¹ - (عن مملكة كندة في بطن عاقل الرس غرب القصيم، يراجع الغزي، الموسوعة مجلد6، 1428هـ: 219)

وكان يقال لعامل الحمى: عامل الشرف، وقد أهمل حمى ضرية في العصر العباسي الثاني في القرن الثالث الهجري فما بعده، حدثت في آخر القرن الثاني للهجرة واقعة كانت بين بني نمير وبني كلاب فظفرت بنو كلاب.¹

وضرية في وسط الحمى، حد الحمى من الشمال الشرقي جبل الستار، قال البكري: "أما جبال الحمى فأدناها جبل على ظهر الطريق يقال له الستار"، ويقول ياقوت: "الستار جبل من أخيلة حمى ضرية" كما ذكر أن حده إلى جبل سواج. قال الهمداني في تحديده للحمى من جهة الشمال الشرقي: حمى ضرية إلى سواج. وقال ياقوت في موضع آخر: سواج من جبال غنى، وهو خيال من أخيلة حمى ضرية، والخيال ثنية كالحمد بين الحمى وغير الحمى، فيذكر الهمداني أنه يصل إلى نفي ثم إلى بطن الرشا والخنوقة، ومن الجنوب الشرقي جبال نضاد وجبال النير، ثم يأخذ الحد في الاتجاه نحو الجنوب جبل الكود، ومن الجنوب الغربي حده ماء في الطريق يقال لها أسود العين، ومن الشمال الغربي حده جبال شعبي، حيث يقول الهمداني: "وشعبي حد الحمى"، ومن الشمال يصل حده إلى أعلى وادي الداث، قال الهجري: "الداءات واد جلوخ بين أعلاه وبين ضرية ثمانية أميال، على طريق ضرية إلى الكوفة، وأسفله إلى الرمة قريباً من أبان الأسود، وبين أسفله وأعلاه يومان، أعلاه الحمى وأسفله خارج منه".² ويأتي في الأهمية بعد حمى ضرية حمى الربذة الواقع غربي حمى ضرية داخله مدينة الربذة الإسلامية التي خربت عام 319هـ/932م، ويفصل بين حمى الربذة وحمى ضرية وادي الجير، كما يفصل بين محطة ضرية على طريق البصرة، ومحطة الربذة على درب زبيدة وبالتالي الطريقين البصري والكوفي وضرية والربذة يفصل بينهما وادي الجير ونفود العريق.

يطلق على ضرية حمى الشرف والشريف، وهو منازل ملوك دولة كندة من القرن الرابع قبل الميلاد إلى القرن السادس الميلادي التي كانت قاعدتها الشمالية في القصيم محافظة الرس بطن عاقل (كندة المتأخرة)، ومملكة كندة (المبكرة) موطنها اليمامة - الرياض -

1- (العبودي، ج1، 1399، ص: 191 - 200. عن وادي الجير يراجع العنيزان، الرس، 2015: 193).

2- (العتيبي، سعيد، مجلة العرب، 2007م، 497 - 499).

وعاصمتها الفاو، وتقع الفاو جنوب غربي منطقة الرياض، جنوب غرب السليل عند تقاطع وادي الدواسر مع جبال طويق وأصبح حى ضرية خاص بالممالك العربية التي توالى على المنطقة قبل الإسلام حيث ترعى به إبل الملوك وبه قبر كليب - حرب البسوس - أيام العرب في نهاية القرن الخامس الميلادي ومن أيامها: واردات، وعويرضات وضرية، ويجري في طرفها الشرقي حوض ووادي (التسرير) وادي الرشاء، وفي غربها حوض وادي (الجريب)، وادي الجريب ويقع جبل نضاد شمال جبل النير، كما تقع سلسلة جبال النير غرب مركز البجادية، وجبال شعبي - حالياً تكتب شعباء - سلسلة جبال تقع غرب ضرية، وجبال الكود غرب مركز البجادية، ووادي الداث جنوب شرق النهانية، جبل الستار يقع شمال الشبيكية، اسمه الحالي جبل الربوض شمال الروضتين وجبل سواج يقع جنوب غرب الشبيكية، وأسود العين جبل وقرية مخيط، وهي متعشي وآبار ظفرة إحدى محطات طريق الحج البصري، وجبل أبان الأسود يقع غرب النهانية، يرى بعض البلدانانيين أن حد حى ضرية الشرقي هو الشريف الذي يضم وادي الرشاء وأوضاخ حتى حافة صفراء السر من الشرق، كما يرى البعض الآخر من البلدانانيين أن حدود حى ضرية هي جبال: (سواج، أمرة، طخفة) لكن يمكن اعتبار منطقة الشريف (حوض وادي الرشاء ومستوطنة أوضاخ) حتى حافة السر هي حد الحى الشرقي، وهي بيئة طبيعية واحدة، ضمن حى ضرية نهايتها من الشرق حافة السر، وأما من الغرب وادي الجريب ونفود العريق، كونها بيئة واحدة، فتكون حدود الحى: من الغرب مجرى وادي الجريب الذي يفصل حى ضرية عن حى الربذة، ومن الشمال مجرى وادي الرمة، ومن الجنوب جبل شعر وجبال عفيف، فتكون بذلك الحدود الشرقية تمتد إلى حوض وادي الرشاء (التسرير قديماً) حتى حافة السر، وتقع ضرية ونفود العريق في مركز الحى وهذا هو الأقرب (خريطة رقم (4)).

يتبع مركز أوضاخ لمحافظة الدوادمي، ويقع جنوب الأثلة وشمال نفي وشرق دخنة، ويكتب بصيغ عدة أضاخ، ووضاخ، وأوضاخ فالمصادر تكتبه أضاخ، أما حالياً أوضاخ، وهو أدنى مياه بني تميم إلى أضاخ، ماء أضيخ لبني الهجيم، وقرن ذكر أضاخ بذكر منعج أي دخنه الحالية، وأن صفاء وضاخ العليا هو المسى (العرف) سناف صخري أحمر من قرى اليمامة لبني نمير، ويقال اليمامي الأضاخي من قرى اليمامة، وموطن لقبيلة كنده وبني محارب بن

عيلان، تصل مشارفها إلى الشربة رغم بعد الشربة الواقعة قرب ملتقى وادي الرمة مع وادي جرير (الجرير)، منازل بني محارب في مناطق النفازي والهميج ووعاج، وماء آخر عال لبني تميم يقال له سقام على طريق أوضاخ إلى مكة وإلى ضرية، وأوضاخ كانت الحد بين قيس وتميم وأضاخ قيسية، ومنعج دخنة الوادي خارج الحمى في ناحية دار غني بين أضاخ وإمرة أحد محطات طريق البصرة في القصيم، وجبل الرجام أصبح اسمه الشَّعب وهو القريب من جبل طخفة أحد محطات طريق الحج البصري قبل ضرية، وصف بأنه ليس بينه وبين طخفة إلا طريق يدعى (العرج) وهو طريق أهل أضاخ إلى ضرية، ولأضاخ حزين مشهور ذكره الأصبهاني في بلاد غني ونمير، وحزير أضاخ يذهب إلى الجنوب الشرقي حتى يصل مجرى وادي الرشا ويسمى العبله وكانت منطقة الشرف والشريف والشربة حوض وادي الرشاء مكان استيطاني لقبائل ومجتمعات عدة منها: قبائل من: كنده، وبني تميم، وبني الهجيم، وبني محارب بن عيلان، وقيس، وغني، ونمير، وبني كلاب.

ثالثاً: علاقة الطرق بحوض الرشاء

1-3: علاقة الطرق بحوض وادي الرشاء :

ارتبط حوض وادي الرشاء بشبكة الأودية في وسط الجزيرة العربية - المملكة العربية السعودية - مثل وادي الرمة من الشمال، والذي يعد الحوض الضخم الذي يصرف مياه أكبر الأودية، شمال الرياض وجنوب حائل وشرق المدينة المنورة، فمن الغرب والجنوب وادي الجرير: وروافده شعيب مطربة، الطرفية، أم أرطي، وادي ساحوق، شعيب، عقربان، الجوية، دحلة، أم عجيلة، البصيري، والبحرة (الشبرم)، المياه، الشواطن، والرضمية (طلال) وبدين، والقاعية، والجوية. ووادي النساء: وروافده، وادي دخنة. ووادي الداث: وروافده شعيب مهمل، ومبارعة، وهرمول، ومبعوج. هذه الشبكة من الأودية والشعاب بينات الأودية السطحية غير الأخدودية، بيئة رعوية ساهمت في جذب طرق القوافل لتعبرها، وأصبح الحوض تحت تأثيرات وسط الجزيرة العربية الحضارية.

عاشت الجزيرة العربية عدداً من التغيرات الحضارية ساهمت في ازدهارها وتنميتها، منها ظهور الإسلام الذي جعلها منطقة لها أهميتها الحضارية والتجارية والرعوية، وقبل ذلك زمن الممالك العربية المبكرة قبل الميلاد حتى الفترة التي سبقت الإسلام، في شمال الجزيرة العربية،

وفي جنوب الجزيرة العربية، وفي وسط الجزيرة العربية، منها ذات التأثير الكبير على الحوض مملكة كندة المتأخرة إضافة إلى ممالك القبائل العربية في الأقاليم الداخلية التي لم يكن لها نفوذ خارج الجزيرة، وهي قبائل عربية مستقرة قرب حوض وادي الرشاء مثل عبس وذبيان وبني أسد، وقبائل عاشت في ظل كيانات كبيرة محيطة بها في حوض وادي الرشاء: مثل غني نمير وباهلة وتميم.

قامت مملكة كندة في بطن عاقل في الرس بالقصيم كمقر لمملكة كندة (المتأخرة) التي تشكل بعضاً من أراضيها وتضم شبكة حوض وادي الرشاء المجاور لوادي النساء ووادي الداث، وكذلك حى ضرية داخلها الحوض، وحى الربذة، وطريق البصرة مكة، وطريق عمان - البحرين - اليمامة مكة.

يدل النقشان السبئيان المكتشفان في جنوب الدوادمي، على دور المنطقة خلال القرنين الخامس والسادس الميلاديين، فيشير النقش الأول المؤرخ في القرن الخامس الميلادي إلى وصول الملك الحميري اليمني (أب كرب أسعد) إلى وادي (مأسل الجمح) في الدوادمي وسط الجزيرة العربية لضم قبائل الوسط مع الجنوب، أما النقش الآخر المؤرخ في القرن الخامس الميلادي أيضاً يشير إلى حملة الملك الحميري (معد يكرب يعفر) لمساندة قبائل الوسط، وقد عرفت تلك الأحداث في المصادر المبكرة بأيام العرب، يوم (دارة ماسل) بين قبيلة بني ضبة وقبائل بني عامر، ويوم (شعب جبلة) بين بني عامر وحلفائها من قبيلة عبس، وبين بني تميم وحلفائها من ذبيان وأسد، كان من أبرز القبائل التي استوطنت معظم أراضي المنطقة (قبيلة باهلة) في جنوب المنطقة، وقبيلة (بنو كلاب) في الجانب الغربي من المنطقة حتى حى ضرية، (وبنو نمير) من بني عامر بن صعصعة في الجانب الشمالي، ومن بلادهم ثملان والشريف ومأسل الجمح، وفي العهد الإسلامي ازدهرت المحطات الواقعة على هذه الطرق والتي كانت مستوطنات التعدين، منها: معدن العيصان، ومعدن هبود، ومعدن الكوكبة، ومعدن الأحسن، ومعدن الخفير، ومعدن العوسجة، ومعدن عراقيب، ومعدن حليت، وتكمن أهمية الدوادمي في الفترات الإسلامية المبكرة، كونها إحدى محطات طريق حج اليمامة الأيمن، الذي

ازدهر خلال العصر الأموي ومناطق تعدين.¹ وطريق اليمامة الأيمن يلتقي مع طريق البصرة مكة المكرمة عند محطة الدفينة بمنطقة مكة المكرمة بعد محطة ضرية بعدة محطات وقبل محطة أوطاس التي يلتقي عندها طريق البصرة بدرج زبيدة قبل الوصول إلى ميقات أهل العراق والشرق الإسلامي ذات عرق.

2-3: محطات طريق الحج:

ارتبط حوض وادي الرشاء ومستوطنة أوضاخ في خدمة مستوطنات ومحطات طرق الحج والتجارة الإسلامي داخل الجزيرة العربية مع وسط إقليم اليمامة، أي منطقة اتصال بين طريق البصرة - مكة عبر محطات القصيم، وطريق اليمامة مكة المكرمة. فقد ساهم حوض وادي الرشاء في قيام المحطات والمستوطنات والمتعشيات في هذا المحور لخدمة الطرق التي تتجه شرقاً إلى العراق وغرباً للحجاز وجنوباً إلى اليمامة لوفرة المياه والأودية والمراعي والمنخفضات والواحات الزراعية.

1-2-3: طريق البصرة - مكة مروراً بالقصيم: ينطلق طريق البصرة مكة من مدينة البصرة في العراق حتى مكة المكرمة والمدينة المنورة غربي الجزيرة العربية. يبدأ من البصرة ثم وادي الباطن، حفر الباطن، ثم رمال الدهناء، ثم يمر منطقة القصيم شمال وغرب حوض وادي الرشاء، حيث تكثرت فيها المياه العذبة والواحات، من محطات الطريق في القصيم: (القريتين) عنيزة، ورامدة، وفي غربي الحوض إمرة، جنوب غربي الحوض طخفة، ضرية حيث تشكل شبه قوس يحيط بحوض وادي الرشاء، كما يلتقي طريق البصرة - القصيم، بطريق اليمامة - مكة بمحطتي القريتين شمال الحوض وضرية غربي الحوض، ثم يستمر الطريق حتى يصل إلى أم خرمان (أوطاس) شمال شرق مكة المكرمة وهو ملتقى طريق البصرة، مع درب زبيدة ثم محطة ذات عرق ميقات أهل الشرق، وقد استمرت الطرق في ازدهارها حتى القرن الرابع الهجري بعد أن دخلت الدولة الإسلامية العباسية في صراعات مع قوى بيزنطة وصراع الدويلات، فقد كان انتعاش الطريق طوال الفترة الإسلامية الفترة العباسية الأولى القوية،

¹ - العتيبي، عجب، المناجم: 35-40. الذيب، منطقة الرياض، مجلد6، 2007م: 56 - 57. الشعبان،

طلال، الموسوعة، 1428هـ: 395. الغزي، الموسوعة، مجلد6، 1428هـ: 218.

وتعد هي النشطة والحيوية من طريق البصرة القصيم مكة، ثم تضاءل طريق البصرة وكاد يختفي إلا من بعض محطات الطريق التي استمر فيها الاستيطان الحضاري أو بالقرب منها بسبب المكون البيئي والطبيعي للمستوطنات مثل المراعي ووفرة المياه، ثم ضعف الطريق حتى توقف في القرن السابع مع نهاية الخلافة العباسية في بغداد.

كانت (ضرية) غربي حوض الرشاء واحدة من أهم محطات طريق البصرة، والواقعة جنوب غرب أوضاع، يشتركان في حى ضرية الإسلامي، وعند ضرية تلتقي الطرق القادمة من طريق الحج: العماني والبحريني والعراقي البصري واليمامة وهذا ساهم في تنشيط الاستيطان في حوض وادي الرشاء.

يلتقي طريق البصرة - المدينة المنورة مع درب زبيدة عند محطة معدن النقرة، ومحطة النقرة بعيدة عن حوض الرشاء لكنها تتداخل مع أوضاع في مجال التعدين، وأيضاً من ضمن شبكة مستوطنات طرق الحج ضرية الحمى، والمجاور لها محطة ومدينة الريزة على درب زبيدة والتي يفصلها عن ضرية وادي الجرير ونفود العريق.

2-4: طريق اليمامة - مكة مروراً بالقصيم:

أدى طريق اليمامة - مكة دوراً في خدمة حجاج المنطقة وما جاورها، وخدمة من قدم إلى اليمامة أيضاً من حجاج شرق الجزيرة العربية من البحرين وعمان وسواحل الخليج العربي وبحر عمان وبحر العرب، وبلاد العراق، وكان الدرب معروفاً خلال القرون الهجرية الأولى، ينتهي مسار طريق اليمامة عند التقائه بطريق البصرة - مكة المكرمة وذلك بمحطة الدفينة (الدفينة) منطقة مكة المكرمة أو ضرية أو بمحطة القريتين بمنطقة القصيم ويندمج مسار طريق اليمامة - مكة المكرمة، في مسار الرئيس لطريق البصرة - مكة المكرمة ومن أراد المدينة المنورة يسلك طريق البصرة - المدينة باتجاه محطة معدن النقرة شمال حوض وادي الرشاء أو عبر محطة الدفينة أو الريزة.

يلتقي طريق اليمامة مع طريق الحج البصري في القريتين شمالي عنيزة في القصيم، يقول الحربي: "اليمامة طريقان إلى مكة، طريق من (القريتين).. وطريق على مرات" ويقول ابن رسته:

"من البحرين إلى مكة تخرج إلى (اليمامة) (الخرج) ومن اليمامة إلى (ضرية) ومنها إلى مكة"¹ اتصلت اليمامة بحواضر إقليم البحرين (شرق الجزيرة العربية) كمدينة هجر (الإحساء). إذ كانت تمثل الموانئ (الهجرية) مستودعاً تجارياً لحواضر اليمامة وقراها، فألى جانب حجاج البحريني استخدم الطريق، أيضاً، الحجاج القادمون عبر مياه الخليج العربي، سواء من بلاد فارس أو من القارة الهندية.

تعد السواحل الغربية للخليج العربي، بصفة عامة، نقطة انطلاق لطريق اليمامة القصيم مكة، بينما كانت حواضر إقليم البحرين والأحساء والقطيف مراكز مهمة لتجمع الحجيج قبل انضمامهم إلى الركب وانطلاقه منهما. يتجه مسار الطريق إلى إقليم اليمامة بالاتجاه الغربي.²

صاحب كتاب "بلاد العرب" يقول: "وإذا خرجت من حجر اليمامة تريد مكة المكرمة، وتركت المنار وأخذت الطريق الأيمن، فإنك آخذ ببطن العرّض، ووادي حنيفة ثم تصير إلى (ثنية الأحيسي)، ثم تجوز ذلك فترةً (الغزير)، فتأخذ على رملة يقال لها (الوركة))، ... ثم تجوز ذلك فترد (عكاشا)، فإذا جزت عكاشا وردت (العيصان)، وهو معدن، وبه تجار وهو لبني نمير، ثم تجوز العيصان، فترد معدن (الأحسن) وهو لبني كلاب، وهو أول عمل، وتحول طريق اليمامة فيما بعد إلى منطقة القصيم، للاستفادة من الحماية التي يتمتع بها طريق حاج البصرة. إذ يمرّ طريق الحج البصري بموقع طخفة، التي تُعتبر إحدى محطات طريق الحج البصري الرئيسية وخلال القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي استُبدل هذا الطريق بطرق أخرى.³

2-2-3: طريق أوضاع - ضرية: قال البكري في وصف حى ضرية: فيفضي على وادي الرشاء إلى قاع القمر ومنعج، ... وأما (الرجام) فإنه جبل آخر مستطيل في الأرض، بناحية طخفة،

¹ - الأنصاري، عام 1434هـ: 261-273. الراشد، سعد، 2003: 66-73. الشايع، 1415هـ: 59.

² - الشعبان، موسوعة المملكة، 1428هـ: 391 - 394.

³ - العتيبي، عجب، المناجم ومواقع التعدين: 39-40.

ليس بينه وبينها إلا طريق يدعى (العرج)، وهو طريق أهل (أضاخ) إلى (ضرية) وبين الرجاء وضرية ثلاثة عشر ميلاً أو نحوها سبق الإشارة للطريق في الأقوال عن أضاخ¹ وأوضاخ تشترك بالحمى مع ضرية، وقريبة من القريتين شمال عنيزة، وأيضاً من ضرية على طريق البصرة.

1- العبودي، بلاد القصيم، ج1، 1399هـ: 363.

رابعاً: بيئة المستوطنات:

يشكل حوض وادي الرشاء المحور الرئيسي لمنطقة شرقي حى ضرية والواقع ما بين حافة صفراء ونفود السر، وبين ضرية المستوطنة ومحطة قوافل الحج البصري، ووادي الجرير الرافد الرئيسي لوادي الرمة ونفود العريق (عريق الدسم)، ووادي الداث ووادي النساء، فوادي الرشاء ضمن نطاق استيطاني واسع يشمل محطات درب الحج البصري ومستوطنات قديمة.

يكثُر الاستيطان القديم والحديث بكثافة على ضفاف وادي الرشاء ومحيطه بسبب وفرة المياه وخصوبة التربة التي أدت إلى كثرة المزارع، وهذا يؤكد أهمية الوادي منذ القدم، ومنها بعض مزارع السر (حافة السر وخلفها صفراء ونفود السر).

- المستوطنات: أهم المحافظات والمدن والمراكز والقرى القريبة والمحيطة بحوض وادي الرشاء هي: الدوادمي وعفيف والبداغ والمذنب وساجر والبجادية والشعراء، ونفي والأثلة ودخنة (منعج قديماً)، الجمش، القرين، ودهيماء، والملقى، والعمار، بالإضافة إلى قرى السر. وهي بيئات استيطانية غنية بالمياه والمزارع، تتنوع في حوض الرشاء البيئات، حيث تتباين وتتعاقب داخلها التكوينات الجغرافية من رمال وأودية وجبال، شكلت منخفضات وقرى زراعية ومستوطنات قديمة، ساهمت مع عوامل أخرى في تحديد مسار طريق الحج والتجارة البصري إلى مكة المكرمة، والذي يعد المحور الحضاري لحوض وادي الرشاء وحى ضرية، وقيام وانتعاش قرى ومدن شمال غرب منطقة الرياض، (خريطي رقم (5، 6)).

تحيط بوادي الرشاء مستوطنات قديمة هي: محطات طريق الحج البصري الذي كان قائماً قبل الإسلام، وتم تحديثه في العهد الراشدي عهد أمير المؤمنين عثمان بن عفان، رضي الله عنه، وخلافة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما في الدولة الأموية، عندما تولى القائد عبدالله بن عامر بن كريز إمارة البصرة في الخلافة الراشدة والخلافة الأموية، حيث قام بعمارة المحطات والمنازل والمتعشيات على طريق الحج والتجارة البصري الذي يربط مدينة وميناء (أبلة) البصرة على رأس الخليج العربي في العراق، بالمدينتين المقدستين في الحجاز مكة المكرمة والمدينة المنورة، فحوض وادي الرشاء يقع ضمن تجمع استيطاني واسع وقديم من

المستوطنات: القريتين شمال عنيزة، ومنزل الرمادة، وعجلز، ومحطة رامة، وبطن عاقل (الرس) عاصمة مملكة كندة المتأخرة قبل الإسلام، وإمرة قرية (الدحلة)، والرائغة، طخفة، وضرية وأوضاخ.

تمثل بيئة حوض وادي الرشاء الجهة الجنوبية الشرقية لمسار طريق البصرة بمنطقة الرياض بعد أن يجتاز الطريق محطات وقرى نفود الغميس وبعضاً من مجرى وادي الرمة، وهي المرحلة التي تعقب صفراء ورمال الأسياح، فحوض وادي الرشاء ومستوطناته تعد بيئة وامتداد لقطاع نفود الغميس ونهاية الأطراف الغربية للغطاء الرسوبي الذي يشتهر-الرسوبي- بالطبقات الحاملة للمياه والخزانات الجوفية التي تنبع منها عيون الماء وسط كثرة الكثبان الرملية، ثم يعقب حوض وادي الرشاء غرباً، قطاع (الدرع العربي) الجبال الشاهقة وكثافة الأودية وقوة جريانها وتعدد المناطق الرعوية والأحمية، يعبره مسار درب البصرة ويمر بأشهر محطات بيئة الحوض ضرية التي كانت مدينة في العصر الإسلامي المبكر، وغربها مدينة الربذة الواقعة على درب زبيدة.

يعود ازدهار الطريقين (البصري وزبيدة) إلى فترة القرون الإسلامية الثلاثة الأولى، وكذلك إلى قطاع الأحمية حى ضرية، وحى الربذة، والمناطق الرعوية في محيط نفود العريق (عريق الدسم)، التي يخترقها أكبر الأودية الرافدة لوادي الرمة هو وادي الجرير المغذي الرئيسي لوادي الرمة من الجنوب كما تضم المنطقة أشهر الجبال مثل شعباء وعسعس وعسيب، ويمكن تقسيم منطقة استيطان حوض وادي الرشاء على النحو التالي:

- غربي وادي الرشاء: مراكز وقرى مطربة، ومنيفة والخبة والرفيعة والبديعة والرديفة، والشاوية وأوضاخ والأثلة، والملقى، وام طليحة، وسامودة، وربيق، وعلباء، ودهيماء، والنعايم.

شرقي وادي الرشاء: مراكز وقرى الشعراء وقرائها منها الشبرمة، النبوان الرفاع، الفقارة، الودي، تسير، الديرية، الصالحية، السنارية، الخالدية، خريمان الشغار، خريمان، الخرماء حيث ينتهي وادي الرشاء بقاع الخرماء.

تمثل مستوطنة أوضاخ الأثرية جزءاً من حوض الرشاء، وهي عبله تنحدر منها الأودية لترقد وادي الرشاء، ويحيط بمركز أوضاخ قرى ومراكز منها: دخنة والأثلة والملقى ونفي

والعمار. وهي قريبة من محطات درب البصرة منها: محطة إمرة في الدحلة، وطخفة وضرية في محافظة ضرية غرب أوضاخ، ومن شمالها محطة الحج رامة في البدائع والقريتين شمال مدينة عنيزة أما الشعاب المحيطة بأوضاخ منها: شعيب أوضاخ، وشعيب الاثلة وشعيب الهيشة وجميعها ترفد وادي الرشاء. وأوضاخ مستوطنة قبل الإسلام داخل حوض وادي الرشاء، تقع شمال مركز نفي، وجنوب شرق مركز دخنة إلى الغرب من مجرى وادي الرشاء، في منطقة مرتفعة عما حولها تتناثر فيها بعض المرتفعات الجبلية منها صفاة أوضاخ العليا الواقعة غربها، وصفاة أوضاخ السفلى الواقعة شمال شرقها، وجبال واردات جنوبها، وسناف الردامي (جبال دقيقة تمتد طولياً) تقع غرب أوضاخ.

الطرق: يقع حوض وادي الرشاء بين عدة طرق للقوافل: من الشمال طريق الحج البصري منها محطات: القريتين (شمال مدينة عنيزة)، منزل الرمادة وعجلز ومحطة رامة (مدينة البدائع)، ومن الغرب امتداد طريق البصرة، متعشي بطن عاقل (مدينة الرس)، ومحطة إمرة (الدحلة)، ومتعشي الرائغة منزل قرب جبل سواج، ومحطة طخفة، ومحطة ضرية (مدينة ضرية)، ومن الجنوب مسار طريق حجر اليمامة (مدينة الرياض) - مكة (الأيمن)، ومن الشرق طريق حجر اليمامة (الرياض) إلى الكوفة.

- الرمال: تنتهي مياه وادي الرشاء في قاع الخرماء، حيث (يحير) وادي الرشاء في قاع الخرماء ونفود الشقيقة وهو الحاجز الطبيعي لمياه وادي الرشاء والتي يعتقد أن الرشاء كان بالسابق يخترق نفود الشقيقة ويصل إلى محافظة عنيزة، ونفود الغميس، والغميس أشهر التجمعات الرملية وسط القصيم تقع داخله أهم مدن القصيم منها: بريدة وعنيزة والبكيرية والهلالية، الخبراء، والبدائع، والعديد من مراكز القصيم.

الأودية: ترفد وادي الرشاء شعاب عديدة منها شعيب الهيشة ووادي جهام ووادي الشعراء تم الإشارة لها في ثانياً حوض وادي الرشاء.

- الجبال: تحيط بالحوض جبال منها: جبل ثملان الذي يعد منطقة تقسيم المياه بين القويعة وحوض وادي الرشاء، إضافة إلى جبال ومرتفعات شطب والنير وإن كانت بعيدة عنه، وجبل جمران وجبله، الدغماء، قنفذة، خريطة (7) وهي على النحو التالي:

الجبال المحيطة بحوض وادي الرشاء، جبال نطاق، وجبال الشقراء، وجبال النبطاء، وقنيفذ، وجبل أبو حسك، وجبل ثهلان، وجبال شطب، وجبال شهباء خنوقة، برقان النبوان، هضبة الرشاوية، وجبل جبلة (وقعت بها أحد أيام العرب قبل الإسلام)، وجبل النشاش، وجبل جمران، وجبل الحميمات، وجبل عبيد القلة، وجبال الوشاعل، وجبل النوبيات، وصفة أوضاخ.

- الحافات: حافة وصفراء نفود السر الممتدة من الوشم وحتى القصيم، ونفود السر حيث تقع عليه مراكز وقرى السر وهي منطقة واسعة كثيفة الزراعة والإنتاج الزراعي.

الاستنتاج:

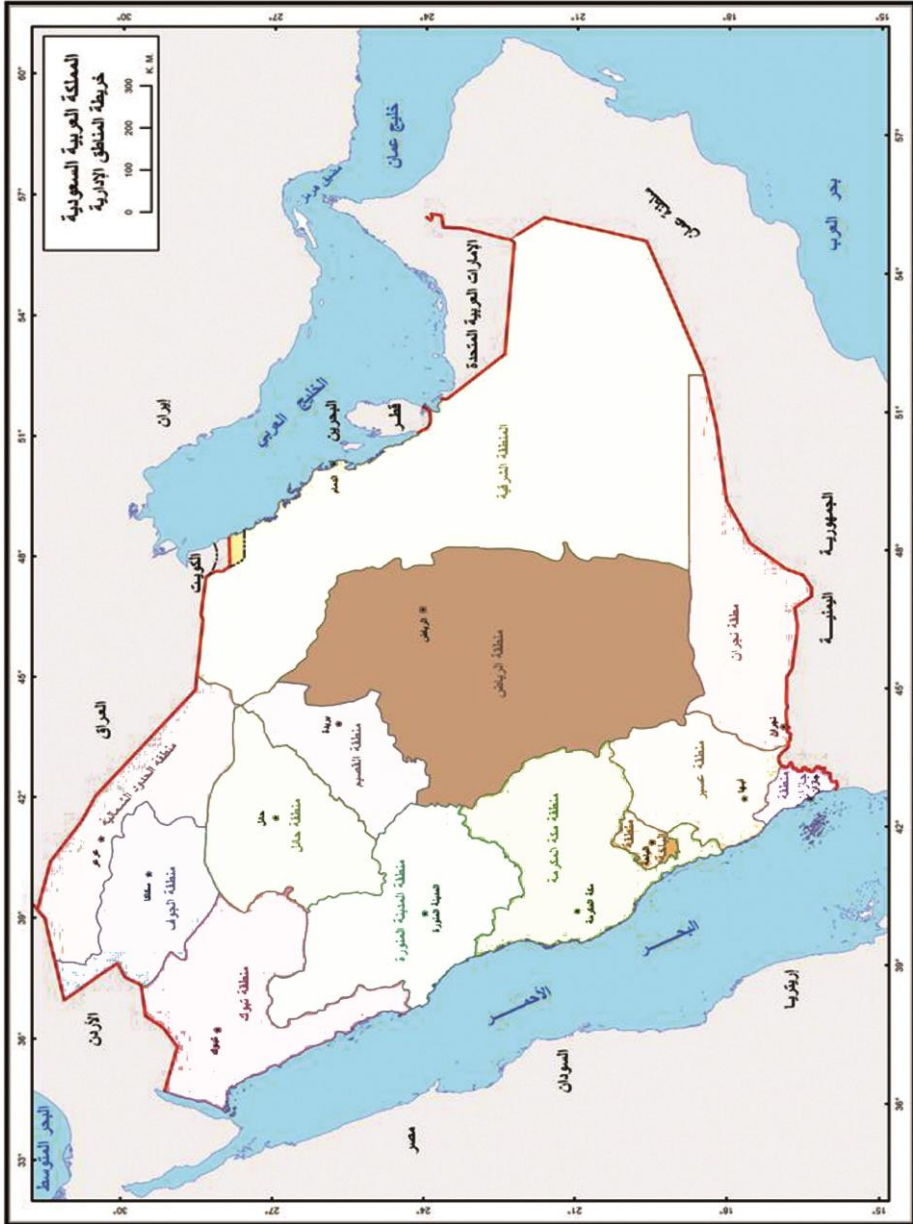
يعد حوض وادي الرشاء في المملكة العربية السعودية ضمن مجموعة من الأودية التي تشكل شبكة كبيرة من مصادر المياه شمال غرب منطقة الرياض، يرتبط الحوض بوادي الرمة أطول أودية المملكة، شمال منطقة وادي الرشاء وأوضاخ، والحوض محصور بين حافة السر شرقاً ووادي الجريز غرباً، تتوسط منطقة الحوض وتحيط بها جبال ومرتفعات تقسيم مياه الأمطار على أودية: وادي الرمة الذي تنتهي به أودية حى ضرية، وادي النساء، وادي الداث، ووادي الجريز، فهذه تشكيلة الأودية التي تكون منطقة الشرف والشريف، طرفي الحوض حوض الرشاء الممتدة من شمال الدوادمي حتى رمال الشقيقة التي تعترض وادي الرشاء وينتهي في رمالها، هذه الشبكة من الأودية ساهمت في إيجاد بيئة استيطانية تتوفر بها غالباً مياه الأمطار والشعاب والآبار والعيون والمراعي.

كما ارتبط حوض وادي الرشاء حضارياً بشبكة الأودية في وسط الجزيرة العربية مثل وادي حنيفة باليمامة (الرياض)، ووادي الجريز بالرياض، ومدن وشواطئ الخليج العربي شرقاً، وأصبح الحوض تحت تأثيرات وسط وشرقي الجزيرة التجارية والاقتصادية حيث عاشت المنطقة تحولات اقتصادية إيجابية ساعدت في خلق أجواء من الانتعاش التجاري، على إثرها قامت الممالك العربية قبل الميلاد استمرت حتى أصبحت المدينة المنورة عاصمة الدولة الإسلامية.

مملكة كندة قبل الإسلام سيطرت على وسط الجزيرة العربية وقاعدتها الرس بالقصيم قريبة من حوض الرشاء إضافة إلى ممالك القبائل العربية التي في أقاليم الداخل في محيط

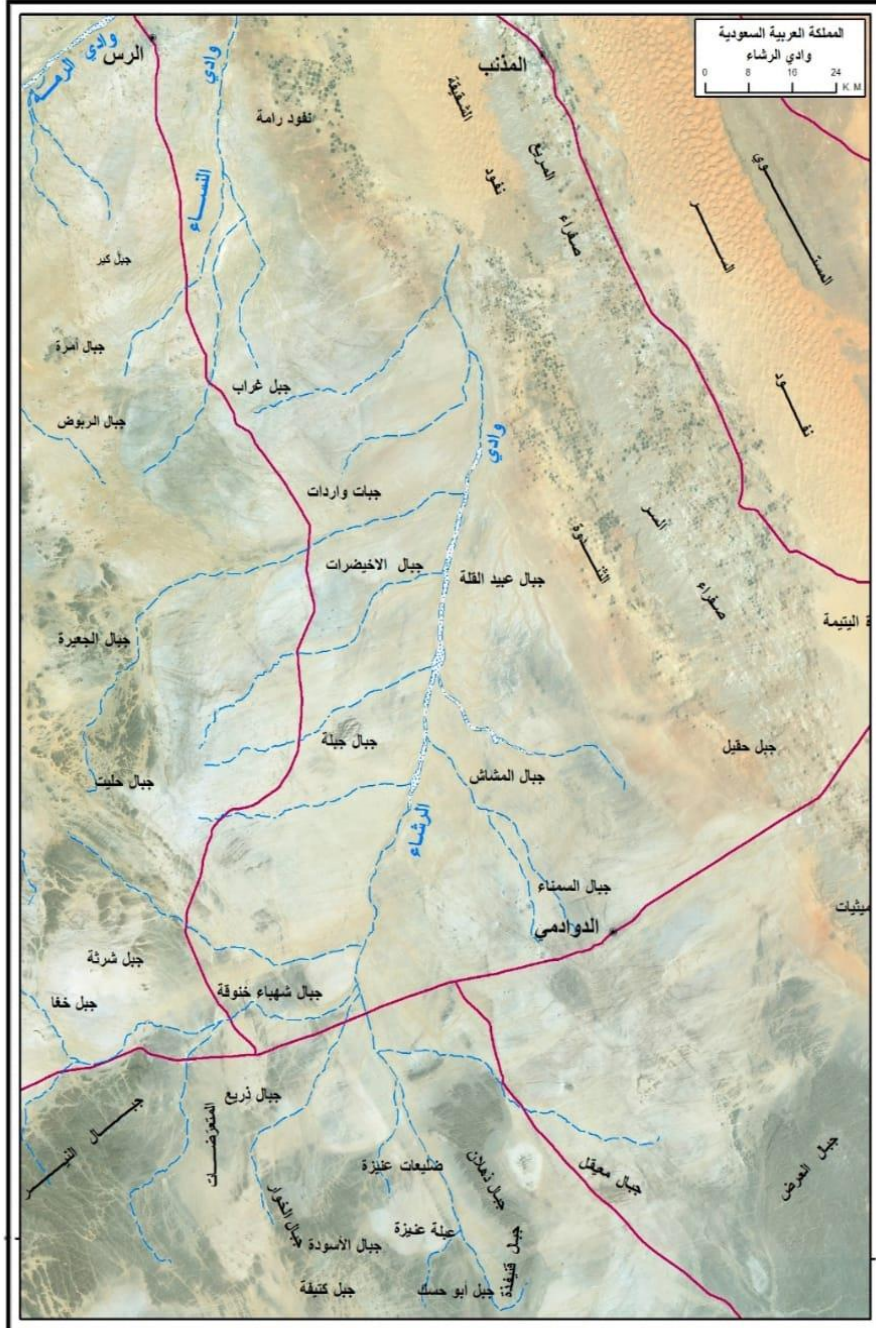
الحوض وهي قبائل عربية مستقرة عاشت وسط وعلى أطراف حوض وادي الرشاء مثل عبس وذبيان وبني أسد، غني ونمير وباهلة وتميم، وقد كان اعتماد الممالك العربية ذات الكيانات السياسية على الموارد الطبيعية والاقتصادية والتجارية لمناطق الحوض والحي وطرق الحج التي تجتاز منطقة حوض الرشاء عبر طرق تصل بين أطراف الجزيرة العربية من الشرق بالعراق والخليج العربي ودول المحيط الهندي، ومن الغرب مكة والمدينة المنورة والبحر الأحمر، لكن الأكثر تأثيراً قديماً قبل الإسلام وقوع الحوض في محيط مملكة كندة التي اتخذت من بطن عاقل في الرس بالقصيم مقراً لمملكة كندة وأيضاً قريبها في العهد الإسلامي من حي ضرية وحي الربذة، وطريق البصرة مكة المكرمة، وطريق عمان - البحرين - اليمامة لتكون مرحلة حضارية للطرق والمراعي ومدن التعدين.

خريطة رقم (1) حوض وادي الرشاء

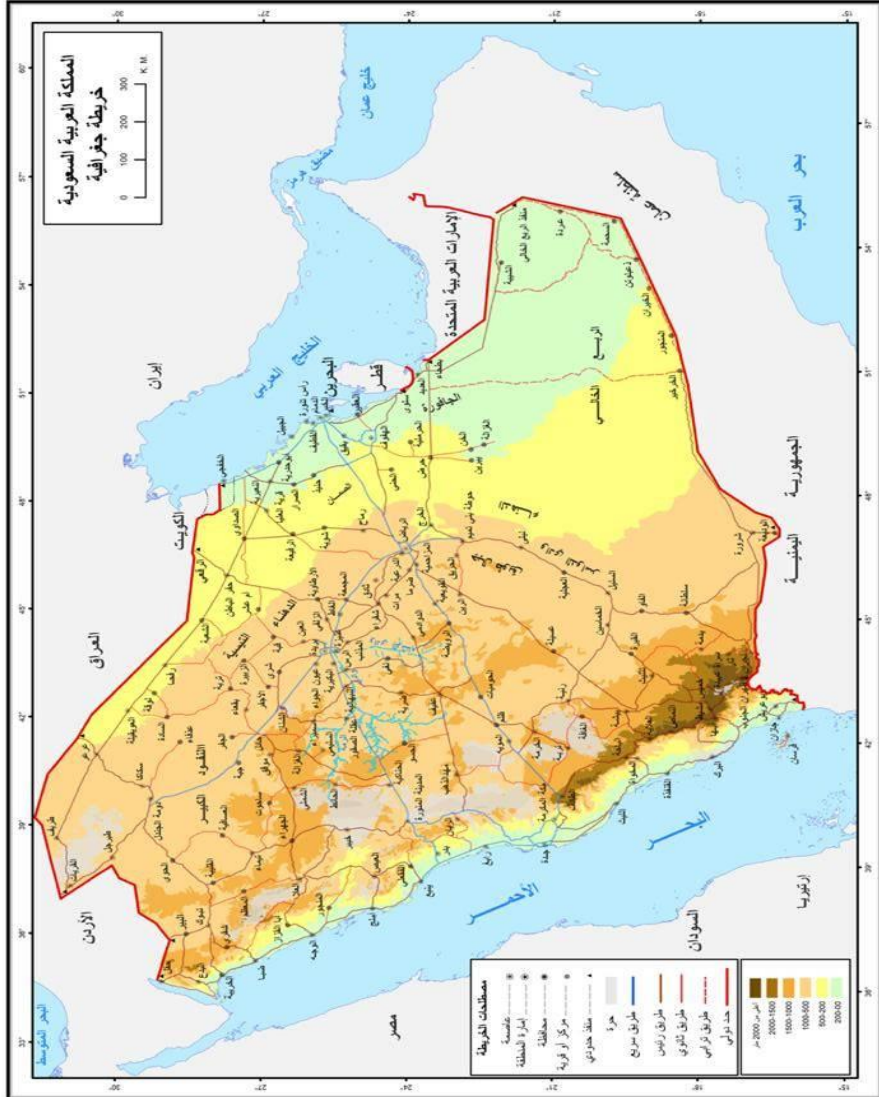


تأثير حوض وادي الرشاء على الاستيطان (أوضح أنموذجاً)

خريطة رقم (2) حوض وادي الرشاء

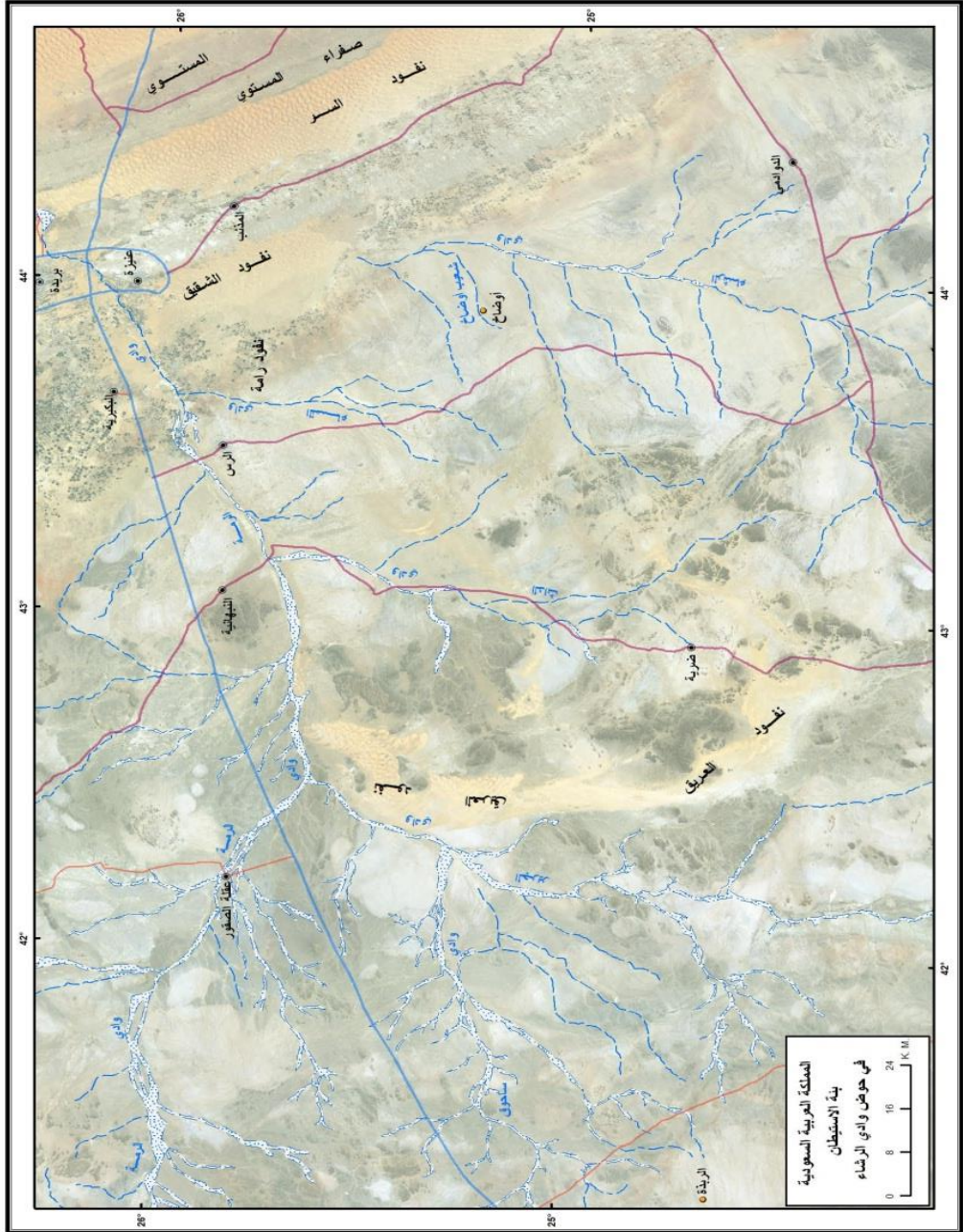


خريطة رقم (3) حوض وادي الرشاء



تأثير حوض وادي الرشاء على الاستيطان (أوضاع أنموذجاً)

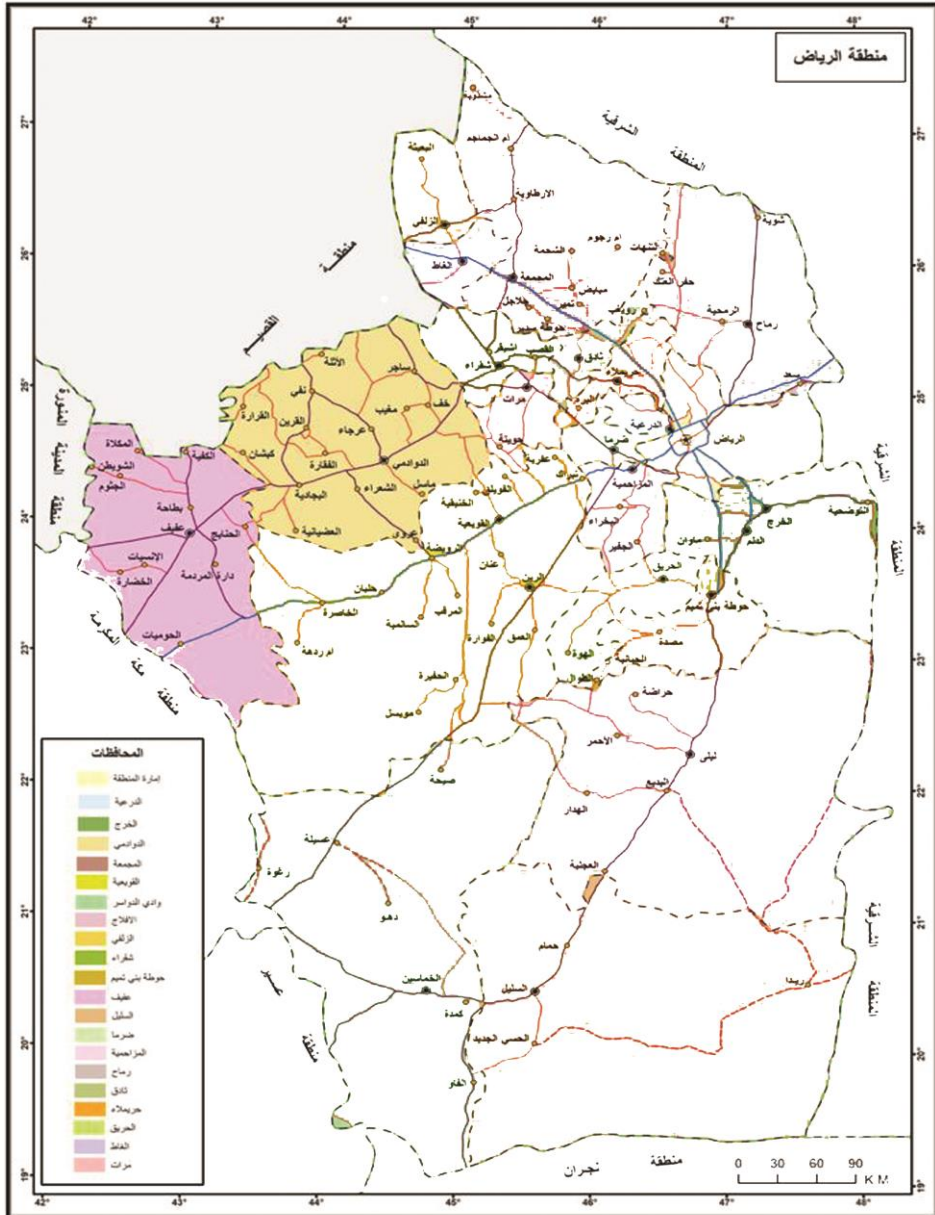
خريطة رقم (4) حوض وادي الرشاء



عمل الباحث

المصدر: هيئة المساحة الجيولوجية

خريطة رقم (5) حوض وادي الرشاء



تأثير حوض وادي الرشاء على الاستيطان (أوضح أنموذجاً)

خريطة رقم (6)

